الفصل السادس

من جرائم المستعمرين فى السودان

◆ فى الوقت الذى تتحدث فيه حكومة السودان الاستعمارية عن سودنة الإدارة توطئة لتدريب السودانيين والوصول بهم إلى الحكم الذاتى ، لكى تلهى بعض صغار النفوس عن الجهاد لتحقيق حريتهم بمغانم شخصية تافهة ، نراها إلى هذا اليوم (سبتمبر ١٩٤٦) تستخدم الانكليز بالجملة وتجزل لهم العطاء وآخر مافعلته فى هذا الباب أن عينت ستة من الانكليز فى الخدمة الثابتة تمنحهم حق المعاش فى وظائف « كتبة » فاذا كان السودانيون لايستطيعون فى نظرها ملء الوظائف الكتابية فمتى يستطيعون أن يحكموا أنفسهم ؟

ولسنا نستغرب هذا التناقض من الانكليز لكننا نرثى للبلهاء الذين يصدقون ماتقوله حكومة السودان

◆ تقع جزيرة توتى عند ملتقى النيلين ويواجه طرفها الجنوبى فندق (الجراند أوتيل) الذى يسكنه أو يرتاده الانكليز ، فاذا هبت رياح الشتاء حملت بعض الرمال عبر النيل إلى الضفة الأخرى حيث الجراند أوتيل ، فآذت أعين الانكليز الرقيقة التى يجرحها مر النسيم . فما شعر سكان الجزيرة إلا ومدير الخرطوم ينذرهم ذات يوم بنزع ملكية الجزيرة ونقلهم إلى جهة أخرى بعيدة ، فراعهم مادبر لهم الانكليز ليستلبوا أرض الآباء والأجداد . رفع الأهالى ظلامتهم ولا مجيب ، فذهب عدد منهم إلى مكتب مدير الخرطوم فمنعهم البوليس من مقابلته واستقبلهم بالضرب فالتحموا معه فى معركة استشهد فيها أحد أبناء توتى برصاص البوليس .

وكانت محاكمات اشمأز منها ضمير العدالة وحكم عليهم فيها بالسجن والغرامات.

لكنهم أنقذوا أرضهم العزيزة الطيبة وما زال أشبالها إلى اليوم يحرسونها ، وما زالت رابضة تجاه الجراند أوتيل قذى فى أعين الاستعمار وبقيت كالقلعة الحصينة صامدة للدخلاء.

فسلام على شهيد توتى الكريم ، وسلام على أبطالها المجاهدين

◆ ليس بالسودان إلى يومنا هذا مكتبة عامة واحدة ، ولم تفكر الحكومة فى ذلك . ولقد شعر المواطنون بحاجتهم القصوى إلى مثل هذه المؤسسة . وقبل سنين فكر سودانى كبير المقام فى إنشاء مكتبة عامة بأم درمان . فرفضت الحكومة التصديق له بذلك تحت ستار إنها هى تفكر فى إنشاء مكتبة عامة فلا داعى لهذه المكتبة

وليس فى السودان من يصدق هذه الدعوى التى يتعلل بها الاستعمار لتأجيل مشروع نافع وخاصة مايتعلق بانارة الشعب وإيقاظ الوعى فيه

ترى لو صحت هذه الدعوى فماذا كان يضير حكومه السودان أن تكون هناك مكتبتان ؟؟

◆ أسماء الشوارع الرئيسية فى الخرطوم :

فكتوريا ـ غردون ـ كتشنر ـ استاك ـ السردار ـ ونجت ـ جيسى سلاتين :

أسماء الحدائق العامة : سرسفيلدهول ـ برامبل

أكبر مدارس السودان : اسمها كلية غردون

مدرسة الطب : اسمها مدرسة كتشنر

التمثالان الوحيدان هما : غردون ـ كتشنر

الملجأ الحكومى الوحيد : ملجأ استاك

معمل الكيمياء الوحيد : معمل استاك

أسماء داخليات الطلبة فى كلية غردون :

كتشنر ـ استاك ـ مافى ـ ونجت ـ آرشر ـ كرى

هل نعيش فى حوض النيل أم فى حوض التامز ! ؟

◆ (٥) تنص المادة الثالثة من قانون الحاكم العام سنة ١٩٣٦ على ما يأتى « طبقا لاحكام هذا القانون فان كل حاكم عام يستحق معاشا اذا كانت

(ا) مدة خدمته كحاكم عام لا تقل عن ثلاث سنوات، أو كانت جملة مدة خدمته كحاكم عام ومدة خدمته كحاكم فى إحدى ممتلكات صاحب الجلالة لا تقل عن ثلاث سنوات

(ب) مجموع خدمته كحاكم عام وخدمته بالمعاش تحت قانون المعاشات (ان وجدت) فى خدمة التاج البريطانى الثابتة لا تقل عن ثلاث سنوات

فكأن الحاكم العام الذى يعمل بالسودان شهرا واحدا يستحق من السودان معاشا طول حياته اذا كان له سابق خدمة فى أى جزء من أجزاء الامبراطورية

ألسنا إذاً جزءا من الامبراطورية رغم الأوضاع الدولية والمعاهدات ؟ ثم أليست الامبراطورية (عزبة) لا تغيب عنها الشمس ؟

◆ (٦) اعتاد أحد مفتشى نيالا (انجليزى طبعا) أن يستخدم عربة يجرها حصان فى غدواته وروحاته ، وذات يوم تفتق ذهنه عن فكرة لتدريب بعض

أبناء العمد والنظار والأخذ بناصرهم للقيام باعباء الحكم الذاتى، فأحضر عددا منهم وألبسهم ملابس السعاة وألحقهم بمكتبه ، وكان عملهم أن يقفوا حجابا ببابه ، فاذا ما ذهب الى منزله حملوا حافظة أوراقه وأشياءه الأخرى ، وركب هو العربة ، وهم من خلفه يهرولون حتى يصل الى المكان الذى يريد

وهذه مدرسة الحكم الذاتى !!

◈ كان بالمحكمة العليا فى الخرطوم منذ سنتين قاض انجليزى . أما مؤهلات هذا الرجل التى رفعته الى هذا المنصب الكبير فهى شهادة التعليم الالزامى ونيشان حازه لما أظهره من بسالة فى الحرب الأولى . هكذا يقول مؤلف Who is Who فهل قصد الانجليز من توظيفه فى هذا المنصب الكبير أن يظهر بسالته وجرأته على العدل؟

◈ عندما انتصر اللورد كتشنر فى موقعة ام درمان على قوات البلاد الوطنية فى عام ١٨٩٨ أمر ذلك القائد الذى يفخر به الانجليز بان تباح المدينة لجنوده وضباطه ثلاثة أيام لهم فيها ان يقتلوا وينهبوا وينتهكوا الحرمات كما يشاءون

◈ فى ١٩٢٤ قام بعض السودانيين الأحرار بثورة مسلحة ضد الاستعمار البريطانى . فلما أخمدت الحركة حكم على أربعة من المشتركين فيها بالاعدام ونفى الباقون الى جهات المناطق الاستوائية فعاش من عاش وتوفى من توفى ، وكانوا يجوعون أياما عديدة قبل أن يقدم لهم طعام لا يكفى لسد الرمق

◈ فى أثناء محاكمة رجال حركة ١٩٢٤ كانت المحكمة تأمر بجلد المتهم فورا فى دار المحكمة وامام الجمهور لأى حركة أو كلمة أو اشارة تعتبرها المحكمة اساءة ، وكان من بين هذه الاعمال المعاقب عليها عدم رجوع المتهم عن مبادئه السياسية

كما كان المتهمون أثناء الحجز الاحتياطى داخل سور من الاسلاك الشائكة

فى العراء ، وكان يصب عليهم صباح كل يوم فى الشتاء القارس الماء البارد من الخرطوش دون ان يكون لديهم ما يتدثرون به

◆ فى عام ١٩٢١ ثار من يدعى (عبد الله السحيمى) فى مركز نيالا على الحكومة وقتل مفتش المركز ومن معه من الجنود والموظفين . تجردت الحكومة حملة استطاعت ان تقضى على الثورة، ولكن بعد أن استسلم هذا الرجل وجميع اتباعه ، ذهبت الحملة الى القرية التى كان يقطنها الثائر واحاطتها بالمدافع الرشاشة ، وانطلقوا يقذفون السكان بالرصاص لمدة ثلاث ساعات كاملة فقتل أهل القرية جميعا بما فيهم الأطفال والنساء .

◆ فى عام ١٩٤٥ كان بمركز سنجة مفتش انجليزى شاب جاءه بعض الأهالى يطلبون الترخيص باقامة قرية جديدة فاذن لهم وعين لهم الموقع . وبعد أيام ذهب ووجدهم قد انشأوها فى غير الموقع الذى حدده لهم فما كان منه الا أن أمر باحراقها فاحرقت كلها، وهرب الأهالى تاركين وراءهم كل ما يملكون طعاما للنيران . ولم يترتب على هذا الاثم الشنيع أى شىء كان

ورحم الله نيرون الذى ذهبت بسيرته الأمثال

◆ وفى نفس العام أحرق مفتش آخر قرية فى مركز القضارف . فقد اتهم بعض سكانها بتهمة حيازة سلاح نارى غير مرخص به ولم يستطيع البوليس عند التفتيش أن يعثر على شىء منه فأمر بحرق القرية فأحرقت

◆ فى هذا العام وأمام الحوادث التى أعقبت قيام وفد السودان جزعت حكومة السودان لتيقظ الشعور وظهور الروح الوطنى فعمدت الى أسلوب من العسف والضغط وكبت الحريات فاقامت المحاكمات بالجملة حتى شملت صغار الطلبة

واعتقلت هذه الحكومة (الشريفة) دون حكم ، المواطن محمود محمد طه لأنه كتب منشورا يكشف به الاعيبها ووضع فى سجن كوبر ، ومنع عن اداء الصلاة ، ووضع فى زنزانة مع بعض المصابين بالسل فى درجات المرض الخطيرة . ولم يطلق سراحه الا بعد تدخل المؤتمر وخشية قيام الاضطرابات من أفراد الشعب

◆ (١٥) أذاعت بجريدة صوت السودان الحرة أنه قد وقع فى يد محررها خطاب سرى دبجته يراعة السكرتير الادارى السابق لحكومة السودان الى أحد رؤساء القبائل يطلب منه تأييد حزب انفصالى معين انشأته الحكومة لمناوأة السودانيين من أعداء الاستعمار

فلم تجرؤ الحكومة على تكذيب هـــذا الخبر وهى التى تنشر كل يوم بيانا فيما هو أقل من هذا الاتهام خطرا

أن الحلال بين والحرام بين ! !

◆ (١٦) تقول المادة السادسة من قانون الصحـــافة ١٩٣٠ « يجوز للسكرتير الادارى من غير ابداء أسباب أن يرفض الترخيص باصدار أية صحيفة كما يجوز له أن يسمح بها بشروط يحددها هو . وله آن يوقف أو يلغى ترخيص أية صحيفة تخالف تلك الشروط . وله بموافقة الحاكم العام أن يعدل أو يوقف أو يلغى أية رخصة ممنوحة تحت مواد هذا القانون بغرض المحافظة على النظام »

أما المادة الثامنة فتعطى الســـكرتير الحق فى منع أية صحيفة أو نشرة أو كتاب من دخول السودان كما تنص على عقوبة المخالفة بالسجن والغرامة

هذه هى حرية الصحافة وحرية التعبير التى يقدسها الانجليز !

◆ (١٧) حزب الأشقاء هو اكبر الأحزاب السودانية وهو صاحب الأغلبية فى المؤتمر ، ولكن ذنبه عند حكومة السودان أنه حرب على الاستعمار والمستعمرين ، ولذلك رفضت له أربعة عشر طلبا لصحيفة تعبر عن رأيه ، فى الوقت الذى أعطت فيه حزبا آخر اكثر من صحيفة ، بل ومنحت بعض الأفراد صحفا ومجلات .

أين أنتم ياأنصار الحريات الأربع ؟؟

* * *

◆ (١٨) أول مايحتاج اليه السودان لترقيته هو المواصلات ، ولا يزيد طول السكك الحديدية عن الالفى كيلو فى بلد تبلغ مساحته مليونا من الاميال المربعة ، وهذه النسبة الضئيلة أقل ماهو موجود فى العالم بأسره

◆ (١٩) عندما فتح الانكليز السودان فى عام ١٨٩٨ ؛ طلب اللورد كتشنر أن تكون الخطوط الحديدية التى بدأت من حلفا الى داخلية البلاد — أضيق من خطوط مصر ، قاصدا بذلك الى وضع العراقيل أمام اتصال البلدين عن طريق السكة الحديد بين حلفا والشلال

◆ (٢٠) تزدحم مصلحة السكة الحديد السودانية بصغار الموظفين الانكليز الذين لاكفاءة لهم على الاطلاق ، حتى أنك لتجد فى كل ورشة عددا منهم لا يستهان به ، بدعوى الاشراف عليها كمهندسين ميكانيكيين . والعجيب أن اكثرهم ينتهز فرصة وجوده بالورشة ليتعلم الميكانيكا على أيدى العمال السودانيين

◆ (٢١) منذ بضع سنوات كان يدير محطة عطبره مفتش وطنى راتبه ٢٥ جنيه شهريا ، فأحضرت المصلحة خمسة من المفتشين الانكليز الى نفس المحطة يتقاضى كل منهم أربعين جنيها شهريا ، بينما ظل ذلك الوطنى يقوم بجميع أعباء العمل وظل الخمسة من غير عمل !

◆ ومنذ بضع سنوات كان يقوم على اصلاح جسور السكة الحديد مهندس سودانى يتقاضى ١٢ جنيها مصريا فى الشهر . وبعد قليل جىء له بانجليزى مرتبه ٤٥ جنيها مصريا وعين رئيسا عليه ، فاكتشف السودانى أن رئيسه غير مهندس ، بل أحضر لكى يدرس الهندسة وفعلا استمر مع العمال عدة سنوات وهو يدرس كتبا أحضرها معه ، حتى تمكن من نيل أولى شهاداته الهندسية فى احدى اجازاته بانجلترا

◆ تدير مصلحة السكة الحديد فندقين فى مصيف (أركويت) وكانت تتقاضى عن الشخص الواحد فى خمسة عشر يوما ١٢ جنيها مصريا ، فلما نشبت الحرب الأخيرة وزادت التكاليف خفضت الأسعار الى ثمانية جنيهات للشخص ، ثم انتهت الحرب وبدأت الاسعار فى الانخفاض ، ولكن العجيب أن الأجور زادت ورجعت الى ما كانت عليه أولا .

أما اللغز الذى يستتر خلف هذا المسلك ، فهو أن الانكليز كانوا لايحتاجون للمصيف اذ يقضون أجازاتهم فى بلادهم ، فلما قطعت الحرب أسباب المواصلات واضطروا لارتياد المصيف ، نزلت الاسعار مجاملة لهم ، فلما انتهت الحرب وفتح الطريق ، زادت الاجور مرة أخرى

أرأيت كيف يشفقون على دافع الضرائب المسكين ؟ !

◆ أما طرق السيارات الممهدة فمعدومة . وقد حدث أن احتاج الامريكان الى تسيير عرباتهم ايام الحرب بين الفاشر والابيض ، واقترحوا أن يقوموا هم بانشاء طريق ممهد فاذا انتهت الحرب سلموه للحكومه

فهل يصدق أحد أن حكومتنا الرشيدة رفضت ذلك ، واعتذرت بأنها لاتستطيع أن تتحمل نفقات اصلاح الطريق عندما يؤول اليها

الجنوب

◆ (٢٣) يمشى أكثر أهالى الجنوب عراة ، وليس ذلك لانهم يدينون بمذهب العرى ، بل لان الحكومة تمنع القادرين منهم من لبس الثياب . وكل من لبس منهم ثيابا فانه يتعرض للمحاكمات والسجن . وقد حدث ان جندت الحكومة فى الحرب الاخيرة بعض الجنوبيين فى قوة الدفاع ، وعند تسريحهم فى أول هذا العام ، أرادت الحكومة ارجاعهم واسترجاع الملابس العسكرية منهم ليكونوا عراة كأخوانهم ، فرفضوا وهددوا بالثورة ، فخافت الحكومة غضبهم وتركتهم على مضض كاسين

ومما يدل على أن العرى سياسة مقصودة ، ان الكمية المخصصة لمركز واو كلها هى عشرين بالة من القماش فقط ، ولا يصرف للشخص أكثر من ربع متر تكفى لعمل طاقية للرأس ، ولا تكفى لعمل أى شىء آخر يستر الجسم

وتعمل الحكومة على إفقار الاهالى هناك ، فقد حددت سعرا للثور يبيعه به سكان الجنوب للمقدرين هو ١٥٠ قرشاً للرأس ولكن لما كان سعره فى الخرطوم حوالى الستة جنيهات وهى لاتريد أن يكسب التاجر السودانى كل هذا الفرق فقد فرضت على الرأس عند شرائه ضريبة قدرها أربعة جنيهات وبذلك ينقص ربح التاجر الى نحو الخمسين قرشا بعد مصاريف النقل

◆ ونفس الشىء يعمل فى جمع العسل فان ثمن القنطار ستين قرشا ولكن الضريبة عليه ثلاثة جنيهات ، والضريبة على الشطة ثلاثة جنيهات ، وهكذا الحال فى غيره من المحاصيل وهذه هى رفاهية السودانيين التى يريدون تحقيقها

◆ (٢٥) تحدد الحكومة أجر العامل فى الجنوب بخمسة عشر مليما فى اليوم

على الأكثر لا يمكنه أن يشترى بها أكثر من حفنة من الذرة يأكلها هو وأولاده كما هى من غير أدام

◆ (٢٦) ترسل الحكومة بعض شبان الجنوب من المتعلمين فى مدارس الارساليات إلى كلية مكريرى ببوغنده ليكملوا تعليمهم الثانوى هناك، فاذا عادوا وظفتهم بمرتب ١٢٠ قرشا فى الشهر فقط . وأخيراً احتج بعضهم على قلة المرتبات، فما كان إلا أن طردوا من الخدمة، حتى جاء الكثير منهم إلى الخرطوم راجين من المؤتمر التدخل لحل مشكلتهم

◆ (٢٧) صرح انجليزى كبير لأحد الموظفين من السودانيين قائلا، (من الخير أن تتركوا التعلق بالجنوب إذ هو يختلف عنكم فى الدم و فى الثقافة وفى التقاليد والعادات ، وأن مستقبل السودان فى أراضى الجزيرة وسهول القضارف) .

◆ (٢٨) تستخدم الحكومة بعض الجنوبيين فى دواوينها فى وظائف كتابية إلى جانب اخوانهم من ابنـــاء الشمال . ولكن للجنوبيين كادر يختلف عن الشماليين إذ لا يزيد مرتب الواحد منهم عن القـــدر الذى يعطى للشمالى كبدل سائس . ويشترط هـــذا الكادر الا يصل مرتب الجنوبى بعد عشرين سنة إلى أكثر من أربعة جنيهات فى الشهر . كما أن هـذا النظام لا يسمح بنقل الجنوبى إلى الشمال مع أنهما موظفين فى حكومة واحدة .

◆ يمنع تدريس اللغة العربية فى مدارس الجنوب ولا ينقل إليها من الشمال مدرس يحتاجون اليه إلا إذا كان من الأقباط او غيرهم من المسيحيين .

◆ (٣٠) فى مدارس الجنوب يعلقون فى كل فصل صورة لملك الانجليز الحالى وصورة للملكة اليصابات كما يعلقون العلم الانجليزى وحده .

وفى سنة ١٩٣٨ زار السير استيورت سايمز الجنوب فوجد العلم الانجليزى

وحده مرفوعا، فأمر برفع العلم المصرى إلى جانبه ولكن العلم اختفى بعد ذلك وعادت الحال كسابق العهد بها .

◈ كان بالجنوب منذ سنوات مفتش يسمى (فرجوسن) اختلط بالاهالى السذج اختلاطا شديدا وتبين لهم بمرور الزمن ان علاقاته مع النساء غير شريفة فتربصوا له وقتلوه . فما كان من حكومة السودان الا أن جردت عليهم حملة واقتصت منهم قصاصا بالجملة دون محاكمات او قضاء : ومما يذكره شهود العيان ان خلفه ويدعى (كوريات) كان يقتل الأفراد لأقل شبهة بضربهم بأسياخ من حديد على رؤوسهم وربطهم الى ذيل حصان يندفع بأقصى سرعة

◈ فى مركز كتم بمديرية دارفور مفتش يدعى مستر مور . أقام حاكما للمنطقة أكثر من ربع قرن ، استطاع فى خلالها أن يفصل المركز من جميع العالم ، وحتى هذا اليوم لايوجد بالمركز مكتب للبريد أو البرق أو التلفون أو مدرسة للاطفال . وكان هذا الرجل يدافع عن سياسته جهارا فيقول أن المدنية شر والخير لنا (نحن سكان كتم) أن نبتعد عن مظاهر المدنية الأوربية ؟!

٢ - وثيقة

وشهد شاهد من أهله

هذه الوثيقة الخطيرة دراسة للاحوال السودانية ، أصدرتها هيئة بريطانية في انجلترا أسمها (في داخل الامبراطورية) نلحقها بهذه الفصول لانها صادرة ممن لا يمكن أن يتهم اذا ما كشف عن العيب الانظمة الاستعمارية أوضح سياستهم المفروضة . وتاريخ صدورها هو سبتمبر ١٩٤٥

* * *

تتجلى أهمية السودان العالمية في موقعه على النيل ، حيث يتحكم في مصير مصر التي تعتمد على ماء النيل في حياتها ، كما تتجلى أهميته في موقعه الاستراتيجي على البحر الأحمر في طريق المواصلات إلى الشرق الاقصى ، زيادة على مافي السودان من قوى اقتصادية كامنة عظيمة منها القطن الذي نال قدرا ملحوظا من المكانة والاهتمام .

وتكاد مساحة السودان تبلغ مليونا من الاميال المربعة ، أما عدد سكانه فيتراوح بين السبعة والتسعة ملايين نسمه ، لانه لم يعمل فيـــه احصاء رسمي دقيق .

والسودان مستعمرة بريطانية ، من جميع نواحيه ، ماعدا الناحية القانونية الدستورية ، ويسمى وضعه السياسي بلغة القانون الدولي ، حكما ثنائيا ، تشترك فيه بريطانيا ومصر . ولقد نشأ هذا النظام في عام ١٨٩٨ حينما قامت حملة بريطانية مصرية ، بتقويض أركان الحكومة المهدية المستقلة ، التي صمدت أربعة عشر عاما كاملة أمام جميع القوى الاستعمارية .

ولقد عمدت سلطات الاحتلال البريطانى إلى بسط نفوذها على المناطق المأهولة بغير المسلمين ، ففتحت الجنوب على مصراعيه لارساليات التبشير المسيحى ، وحاربت انتشار الاسلام فى ارجائه ، ووضعت القوانين الصارمة لمنع الانتقال بين الشمال والجنوب ، ولقد كان أسلوب « فرق تسد » هو السلاح الفعال للاستعمار فى السودان ، كما هى الحال فى كل مكان .

ولما أندلع لهيب الثورة الوطنية فى مصر ، فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، اشترك فيها الوطنيون السودانيون ـ وأغلبهم من المثقفين والضباط فى جيش مصر ـ وقامت ثورة عسكرية مسلحة فى الخرطوم ، عاصمة البلاد ، فى عام ١٩٢٤ يمكن مقارنتها بثورة عيد الفصح فى ايرلندا

اقتصاديات السودان

ويعتبر السودان من بلاد المراعى ، اذ تمتد فى أغلبيته الصحارى الواسعة والمستنقعات التى لانهاية لها ، والسواد الاعظم من رجال القبائل يعيشون على الزراعة ، وتربية الماشية والاغنام والجمال ، وأكثرهم من البدو الرحل ، الذين ينتقلون بقطعانهم من مرعى إلى مرعى . ونظرا لحالة البلاد البدائية فقد ظلت المهنتان فى مستوى منحط ، وظلت غالبية السكان مهددة بخطر الموت جوعا

وفى عام ١٩١١ قامت الحكومة بمشروع كبير لرى أرض الجزيرة ، وابتدأت زراعة القطن على نطاق واسع ، ولقد وضعت أسس المشروع . على أن يقوم بالزراعة مستأجرون سودانيون ، وتشرف على أدارته شركة السودان الزراعية ، « ويحتكر رأس مالها البريطانيون فى الغالب » . هذه الشركة ومعها شركة أقطان كسلا التابعة لها تحتكران القطن فى السودان . ولقد وفقت الشركة منذ عام ١٩١٣ ، إلى عقد اتفاقية رابحة مع الحكومة ، وبفضلها تأخذ الحكومة ٣٥ فى المائة من المحصول ، وتأخذ الشركة ٢٥ فى المائة ، منه ، ويأخذ المستأجر ٤٠ فى المائة

ولما كان عبء العمل كله يقع على عاتق المستأجر ، فانه أصبح يفضل استخدام عمال زراعيين من جبال النوبة لرخص أجورهم ، مهملا بذلك العمال العرب .

وعندما هبطت أسعار القطن فى سنة ١٩٢٨ ، انخفضت أرباح المستأجر ، فانخفضت تبعها لها أجور العمال الزراعيين ولم ترتفع مرة أخرى بالرغم من الارتفاع الواضح فى تكاليف المعيشة .

وفى هذا العام أعلنت الحكومة انها لن تجدد عقد الشركة ، وستأخذ هى حقول القطن فتحولها الى مشروع تعاونى ، ولكن يلوح الآن ان هذا المشروع سيؤجل ان لم يلغ بالمرة

ومع ان الحكومة قد أقامت محالج القطن فى الجزيرة ، الا أنها عارضت بشدة فى أن ينشىء التجار والوسطاء السودانيون ، معامل لغزل القطن ونسيجه

وبجانب ورش السكك الحديدية الكبيرة بعطبرة ، فانه لا يوجد فى السودان من الصناعات إلا التافه القليل ، والحكومة فوق احتكارها للسكك الحديدية ، فانها تحتكر أربعة خطوط رئيسية للبواخر النيلية ، وتملك أحواضا لتكرير الملح فى بورتسودان ، ومنجما أو منجمين للذهب فى تلال البحر الاحمر . وفى الخرطوم بحرى توجد ورش الاسلحة وأحواض السفن النيلية . وفى الخرطوم توجد ورش صغيرة حكومية ، كما يوجد مصنع للزجاج ، وخطوط الترام تربط المدن الثلاث ، الخرطوم ، والخرطوم بحرى ، وأم درمان ، التى يربو سكانها على ربع المليون

وقد حلت شركات الاحتكار الانجليزية ، متمثل كوتس وجلاتلى هانكى ، محل البيوت التجارية الفردية كأمثال اخولن كونتمخالوس . وهذه الشركات تسيطر على الجزء الاعظم من صادرات البلاد وارداتها

ويعمل كثيرون من مختلف الجنسيات فى المنشآت الحكومية والتجارية . هذا وأن جانبا كبيرا من تجارة البلاد يتبادل مع مصر . وعلى العموم فان العلاقات الاقتصادية بين البلدين وثيقة ، لان النيل ، شريان الحياة ، مشترك بينهما

الحركة الوطنية فى السودان

فى عام ١٩٣٦ برز مؤتمر الخريجين العام إلى حيز الوجود ، كأول هيئة منظمة للنشاط الوطنى ، فحقق بذلك أغراض البرجوازية النامية فى السودان ، التى تتكون فى الغالب من طبقات الخريجين والمثقفين والتجار ، وأعد المؤتمر برنامجا وسطا لتعليم السودانيين ، وبدأ يجمع الاموال لهذا الغرض ، فلما وجد الجمهور الحاجة ماسة لبرنامجه ، اتسع نفوذ المؤتمر بين الناس وقويت شوكته ، وبعد قليل فتحت أبواب العضوية للذين تخرجوا من المدارس المتوسطة ، فبلغت العضوية قبل عام ، عشرة آلاف ، وربما بلغت الآن عشرين الفا ، وللمؤتمر مائة لجنة منتشرة فى أرجاء السودان الشمالى مدنه وقراه الكبيرة

وقد استطاع المؤتمر أن ينشئ ، بالاموال التى جمعها فى الاربع أو الخمس سنوات الماضية ، ما يزيد على المائة مدرسة ، بما فى ذلك واحدة أو إثنتان فى الجنوب ، والمدارس الوسطى التى أسسها فى هذا الزمن الوجيز أكثر مما أسسته حكومة السودان فى مدى نصف قرن كامل (١٢ مدرسة حكومية وسطى فقط مقابل ١٦ مدرسة أهلية)

وبهذا العمل استطاع مؤتمر الخريجين أن يكسب تأييد الجماهير وثقتها ، فلما جاء ابريل سنة ١٩٤٢ بعث المؤتمر بمذكرة إلى الحاكم العام ليرسلها بدوره الى دولتى الحكم الثنائى — انجلترا ومصر — يطلب فيها للبلاد حق تقرير المصير وإطلاق الحريات العامة ، ولكن حكومة السودان رفضت هذه المذكرة بحجة

أن المؤتمر لا يمثل الشعب السودانى ، ولكى تناهض هذه الحركة الوطنية انشئت المجلس الاستشارى فى عام ١٩٤٤ ، حتى تكون متنفسا — سطحيا — مع تيار التقدم الذى خلقته الحرب الاخيرة ، ليكون « هيكلا » فى يدها تلوح به لدنيا ما بعد الحرب ، كدليل على ماقامت به حكومة السودان لرفاهية أهله وحكومتهم الذاتية ، ويتكون أعضاء المجلس فى الغالب من مرشحى الحاكم العام ، ولهذا قاطعه المؤتمر ، لما فى تكوينه من مجافاة للمبادىء الديمقراطية ، ولا تزال هذه المقاطعة تسرى إلى اليوم

وفى خلال سنى الحرب ، وقبل تكوين المجلس الاستشارى ، أسست الحكومة المجالس البلدية ، ومجالس المديريات التى كان طابعها يختلف باختلاف المناطق ، وهى مجالس ديمقراطية إلى حد ما ، ولكنها عديمة الجدوى لقصر سلطاتها على شئون الرى فى المنطقة

وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، تقدم المؤتمر بمذكرة ، ضمنها قرار أغلبية أعضائه ، لدولتى الحكم الثنائى يقول فيها : « ان السودان يريد حكومة ديمقراطية حرة — فى حدوده الجغرافية الحاضرة — تحت التاج المصرى » ، ومعنى أبسط فانه يريد اتحادا حقيقيا مع مصر ، ومما زاد فى أثر هذا القرار والاقبال عليه ظهور نتائج الانتخابات فى انجلترا لسنة ١٩٤٥ ، زيادة على مساهمة السودان فى فى الحرب دفاعا عن قضية الديمقراطية ، ولكن هذه المذكرة أعيدت اليهم أيضا بحجة انهم لا يمثلون السودان كله بل ولا المؤتمر نفسه ، لان القرار قد صدر بموافقة أحزاب الاغلبية ولم يكن صدوره بالاجماع ، ولذلك فهو — فى منطق الاستعمار — لا يمثل حتى رأى المؤتمر !!

ونتيجة لهذا الرد أخذت الجماعات تنضوى تحت لواء المؤتمر ، وهـــذه الجماعات هى :

(١) الاتحاديون : يريدون الاتحاد الكامل مع مصر وليست للسودان حقوق منفصلة

(٢) الأحرار الاتحاديون : يريدون الاستقلال للسودان على أن تكون صلتهم بمصر هى التاج فقط

(٣) جماعة الوحدة (الاشقاء) يريدون برلمانا واحدا مع مصر وحكومة داخلية للسودان تحت ظل التاج المصرى

(٤) الاحرار : مثل جماعة الوحدة

(٥) القوميون : يريدون استقلالا تاما للسودان ومعاهدة مع مصر واتحادا جمركيا وحفظ السيادة للسودانيين

كل هذه الجماعات أعضاء فى المؤتمر وتعمل تحت لوائه وفى داخله ، وهى ليست أحزابا بالمعنى الصحيح ، لانه لا اختلاف بينها الا فى تحديد نوع الاتحاد مع مصر

ولكن هناك حزبا سياسيا واحدا منفصلا عن هؤلاء وتعترف به الحكومة وهو « حزب الأمه » مع ان المؤتمر نفسه غير معترف به من الحكومة كحزب سياسى ، أما حزب الأمة فينادى بالاستقلال التام للسودان مع علاقات ودية مع بريطانيا ومصر . وهذا الحزب يقبل كل شخص سودانى لعضويته متعلما أو جاهلا مادام يدفع رسما قدره خمسة قروش مرة واحدة فى الحياة ، وقد يقوم الحزب بدفعها له ، وهذا الحزب يؤيد المجلس الاستشارى — وقد انشأت هذا الحزب حكومة السودان بطريق غير مباشر — ويرعى الحزب السير السيد الرحمن ابن المهدى وأكبر ملاك الأرض فى السودان ، أما أعضاء حزب الأمة فهم رؤساء الإدارة الأهلية ، وكبار موظفى الحكومة ، الذين هم أبواقها ، والذين يغذون مشروعات

السودنة ، وجميعهم من رجال « نعم » الذين لايعصون للانجليز أمراً ، كما إن للحزب صحيفة يومية يمتلكها .

أما أحزاب المؤتمر فتطلب تكوين لجنة من ممثلي الحكومتين ومن السودانيين ينتخب أعضاءها المؤتمر ويكون عملها تحديد المدة التي تتحقق بعدها الحرية وجلاء قوات الاحتلال ، بشرط أن يسبق ذلك اطلاق الحريات العامة ، لتنهض البلاد صناعيا ، وتستغل ثروتها برأس مال وطني ، على أسس تقدميه كمشروع الجزيرة ، وما شابهه ، كما يجب أن يرتفع التعليم ويتسع ويتدرب السودانيون ليحلوا محل الموظفين الحاليين .

وفى هذه المذكرة يوضح المؤتمر فشل الحكومة فى خلق نهضة صناعية ، وفى تدريب السودانيين وتعليمهم ، وقد وافقت على المذكرة جميع الجماعات المؤتمرة ، كما وافق عليها حزب الأمة الذى وجد نفسه فى موقف حرج واضطر للتوقيع مع غيره .

وفى الاجتماع السنوى لانتخابات المؤتمر فاز دعاة الوحدة مع مصر بينما قاطعت الجماعات الأخرى الانتخاب نظرا لفشل مشروع الائتلاف ، ولكنهم مازالوا يوالون الاجتماعات للوصول إلى إتفاق .

ولقد زاد تأييد الكتل العمالية فى عطبرة للمؤتمر زيادة كبيرة فى الأيام الأخيره . أما نقابات العمال فلا تسمح الحكومة بقيامها ، ولكن العمال الفنيين وانصاف الفنيين قد انشأوا لأنفسهم نوادى فى المدن غير أن نفوذ هؤلاء فى المؤتمر مازال ضعيفا ، مع أن دخول العمال فى هذه الهيئة له أثر كبير فى تطور النشاط السياسى فى المؤتمر بوجه عام ، كما إنه يثير خلافات سياسية حادة داخل المؤتمر .

وبالرغم من هذه الحركات التقدمية فى السودان ، فانه من المهم أن تعلم أن التفرقه القديمة بين الشمال والجنوب مازالت قائمة ، كما يجب أن نعلم أن كل الظروف المؤدية إلى قيام حكومة دكتاتورية « بوليسية » مازالت موجودة .

وحتى الآن فان عمل المؤتمر قد اقتصر على شمال السودان ، بينما يظل الجنوب معسكرا للرقيق ، وفى دوائر الحكومة ميل شديد إلى النظر لمشاكل الجنوب بالعين التى ينظرون بها لمشاكل كينيا وتنجانيقا ويوغندا .

وفى ايام الحرب خضعت الاجزاء النائية من الجنوب لسلطان قيادة شرق افريقيا واحتلتها قواتها التى تتكلم اللغة السواحلية .

أما حاجة السودان الملحة ، فهى لمعونة اقتصادية وفنية ترفع قوى الانتاج بين اهله الرعاة ، وتنهض بالصناعة فى حدود طاقة البلاد

وبما أن السودان محكوم « حكما ثنائيا » فهو لايستفيد من الأعانات التى تتلقاها المستعمرات من بريطانيا ، وبهذا فهو يتحمل كل اعباء الاستعمار محروم من جميع الثمرات .